

المؤتمر العالمي الخامس للبحوث الدينية والسلام العالمي - القيم المشتركة والتنوع لمعضلة المجتمع والفرد -

جامعة ماردين آرتكلو-ماردين- تركيا

أيام: 2019/11/07-06

عنوان البحث المقترح:

أزمة القيم بين الدين والفلسفة الحديثة - قراءة في بناء مرجعية القيم-

The values crisis between religion and modern philosophy - Reading about the construction of the values reference -

بحث مشترك:

أ.د. الجمعي شبايكي / الباحثة: منى بن عطية

Pr. Chebaiki Djemai / Researcher: Ben Atia Mouna

نائب مدير الجامعة للدكتوراه والتأهيل الجامعي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة . الجزائر

المحور: تأسيس القيم في الوقت الراهن

كلمات مفتاحية: القيم، القيم الدينية، القيم في الفلسفة الحديثة، مرجعية القيم، المؤسسات الأكاديمية .

مقدمة حول إشكالية الموضوع وأهميته

لقد أصبح موضوع القيم من الموضوعات التي تكتسي أهمية كبيرة ومتزايدة، ويزعم كل من يريد الغلبة - بين القوى المتنافسة والمهيمنة- أنه يمتلك القيم التي تحقق الحرية وتحفظ حقوق البشر، لذلك يجتهد كل طرف يتبني قيما مخصوصة في صبغها بصباغ الخير والأفضلية، فهل من الممكن أن تنزل بالقيم هذه الصفات، وأن تظهر على غير صفتها الحقيقية؟ من جهة ثانية: فإن القيم في الفلسفة الحديثة هي تلك التي يحتلقها الإنسان أو يرتضيها تبعا لأهوائه أو تصورات، فبعد أن كانت القيمة تابعة للوجود صارت هي الحاكمة في الوجود، وذلك من خلال الفلسفات والأنظمة الذي يفرضها الإنسان في الرفع من شأن القيم أو الحطّ منها.

من جهة أخرى: إن المرجعية هي التي تحدّد الإطار الفكري العام لمعالجة القيم في أيّ دين أو فلسفة أو مذهب فكري، كما وتحدّد القيم المركزية والقيمة النهائية التي تنتهي إليها سائر القيم، هذا مع البرهان والدليل على سلّم القيم لديها الذي تشكّل استنادا إليها، وباعتبار الجانب المعرفي والنظري الذي يتحكّم في الجانب العملي والسلوكي فإنه دونما الكشف عن الأبعاد والبنيات المعرفية والإدراكية المشكّلة للعقل النظري لا يمكننا أن نفهم المستويات العملية سواء القيمية - الأخلاقية أو السياسية. فكلّ سلوك بشريّ هو مرتبط بمرجعية نهائية نظرية أو معيارية، بمعنى منظومة اعتقادية موجهة للتصورات والسلوكات ولللاقات.

فما هي المرجعية التي تستند إليها القيم، الإسلامية منها بالخصوص؟

وهل من الممكن أن يكون هناك قدر مشترك في مرجعيّات مختلفة لقيم مجتمعات لا تربطها نفس اللغة ولا نفس الدّين ولكن تربطها الإنسانيّة والعقل الإنسانيّ المتّزن، خاصّة في العصر الرّاهن الذي ذوّبت فيه العولمة والحداثة الكثير من خصوصيّات المجتمعات البشريّة وهويّاتهم؟!

وهل باستطاعة الجامعات الإسلامية المختلفة أن تؤسّس مرجعيّة موحّدة تتبنى فيها قيم السلم والحوار مع الآخر في مقابل القطبية الإيديولوجية الأحادية التي كرّست مظاهر التطرّف والعنف والعنصريّة والغلو؟

في معالجتنا لهذه المداخله ينبغي التّفريق والتّمييز بين القيم المثاليّة التي يدعو لها القرآن الكريم، وبين التي على أرض الواقع يحياها المسلمون، وتأتي أهميّة هذا التّمييز بسبب تشرّب الأفراد القيم التي يجدها في الثقافة المحيطة بهم، ومن ثمّ تأثيرهم في الواقع بنفس القيم التي تأثّروا بها، مضيفين إليها ثقافتهم الخاصّة بهم والتي حدّدتها هويّتهم في زمن العولمة المهيمنة على أدقّ التّفصيل الكامنة والظّاهرة في حياة مختلف المجتمعات، فنحن إذا أمام قيم قد لا تعبّر حقّاً عن روح المجتمعات الإسلاميّة، لا في التّربية، ولا في الاقتصاد، ولا في الاجتماع، ولا في السّياسة، ولذا كانت العودة لقيم القرآن والاهتمام بالتاريخ المشترك للشّعوب المسلمة فرضاً ضروريّاً لمحاولة إعادة الالتحام بينها انطلاقاً من استنادها إلى مرجعيّة واحدة.

ثمّ إنّ التّحدّيات التي تواجهها المجتمعات المسلمة اليوم تحمّم عليها مواجهة المشاكل التي أفرزها الفلسفة الحديثة بكلّ إيجابياتها وسلبياتها، والمنطلق يستوجب استحضار الوعي بالذّات، والوعي بالتاريخ والثقافة، لأنّ القطيعة التاريخية سبّبت لها التيه والتخبّط، فكما الإنسان يتكوّن من جسد وروح ولكلّ منهما غذاءه ووظيفته- وهذا الإنسان هو الذي يشكّل مع باقي الأفراد المجتمع- كذلك الحضارة والثقافة لا تقوم القيام الصّحيح الذي يحقّق التنمية والتقدّم إذا ما تنكّرتنا للماضي وتجاهلنا تحديّاته التي لم تواجهها.

في العصر الراهن إن لم تتمنّن الصّلات، صلات كلّ أمة بمرجعيتها فحتماً ستدوب في مرجعيّة غيرها وتفقد خصائصها، والحوار مع الآخر هنا لن يقدّم الامتيازات بقدر ما سيسلب المحاور الانتماء إلى مرجعيّته والانسلاخ عن مبادئه. والقيم بما تحمله من معاني لها كلّ الدّور الفعّال في توجيه الحوار بين أيّ طرفين لاستثمار الجانب الإيجابيّ فيه والاستفادة البناءة من قيم الحضارات الأخرى.

انتقال القيم من الفلسفة القديمة إلى الحديثة:

"لم تكن الفلسفة التقليدية تهتمّ بالقيمة إلّا من خلال نظريّة المعرفة التي تعالج مشكل الحقيقة، وعلم الجمال، والأخلاق، وكانت تهتمّ بها لا لمعرفة بنيتها بل لمعرفة الكيفيّة والشّروط التي توصلنا إليها"¹.

والحقيقة أنّ الفلسفة القديمة كانت تحاول الوصول إلى ماهيّة الأشياء من أجل إدراك أوجه الربط بينها، يعني هذا أن القيمة عندها ترتبط بماهيّة الوجود وعلاقته الترابطيّة، "لقد كان الفلاسفة قبل عصرنا يوحّدون بين الوجود في صورته المطلقة الكاملة وبين القيمة، فأسمى قيمة في نظرهم كانت معرفة الواقع الأسمى،... لقد كان القدماء يرون أنّ القيمة تتحقّق بالنسبة إلينا حين

¹ - نظريّة القيم في الفكر المعاصر: الربيع ميمون، الناشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، - تاريخ الإصدار: 1980، ص 102

نعيش في وئام مع الطبيعة التي لا سلطان لنا عليها. ويرى الفلاسفة المحدثون أنّ القيمة تتحقّق بالنسبة إلينا عندما نصير سادة للطبيعة ومالكين لها، أي عندما نصير مشاركين في خلقها بمعنى ما².

والفلسفة الحديثة من المصطلحات التي تُفرّق بين الفلسفة الناشئة في أوروبا منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وبين المدارس والأفكار الفلسفيّة السابقة عليها. كما أنّ هناك من المفكرين من يفرّق بين الفلسفة المعاصرة وفلسفة الحداثة وما بعدها. ولكن تطور الحياة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كان العامل الأبرز في ظهور الفلسفة المعاصرة، فلقد كانت المشكلة الفلسفيّة في العصور القديمة تنحصر في الإنسان وما وراء الطبيعة³، ثمّ صارت مرتبطة بالدين في العصور الوسطى الأوروبية التي عانت من بطش الكنيسة، وبعدها جاءت النهضة الصناعية في أوروبا الغربية والاكتشافات العلميّة لتسود النزعات العقلانية والتّجريبية.

ابتعاد الفلسفة عن الدّين:

كان من أثر اكتشاف الغرب لشعوب وأراضي جديدة في أواخر القرن السادس عشر أن ظهرت فكرة الدين الطبيعي والأخلاق الطبيعية، "ولسنا نرى إلا أنّ هذه النظرية تعتمد على إحدى وجهتين للثقافة القديمة وتغفل عن الوجهة الأخرى؛ فقد كانت المدنية اليونانية والرومانية تقوم على علاقة وثيقة بين المواطنين والآلهة، وكانت العقول مشغولة بالقدر والغيب، وبقيت الأسرار ناشطة طول عهد الفلسفة، وتأثّر بها أعظم الفلاسفة، ويقال مثل هذا في جميع الشّعوب القديمة: كان الدّين أظهر مظاهر حياتهم، يتناولها في جميع نواحيها وينظّمها أدقّ تنظيم"⁴.

كما أنّ أوجست كونت الذي يعتبره الكثير من الكتاب الغربيين الأب المؤسس لعلم الاجتماع دور كبير في ظهور الفلسفة الوضعيّة التي أنكرت الدّين. اتّسم العصر الذي عاش فيه كونت "بالفوضى الفكرية، والغوغائية المذهبية، فقد ظلت الشعوب الغربية تعيش حالة من الكبت والحجر على الحريات لأكثر من ألف عام تقريباً. وكانت تلك الشعوب محصورة بين مطرقة رجال الكنيسة وفسادهم وبين سنديان الإقطاع والملوك الظلمة، حيث كان معظم رجال الدين يعيش حياة الترف والملذات والشهوات، والانغماس في الفسق والرذائل، كما امتلكت الكنيسة العقارات والأراضي التي بلغت عشرات الآلاف من الأفدنة، بالإضافة إلى استيلاء الكنيسة على أرواح الناس من خلال فرضها جملة من التشريعات التي تجعل أرواح النصارى بقبضة رجل الدين منذ ولادته إلى وفاته،... كما فرضت الكنيسة على العقول ألا تفكر في أمور الكون المادي وأن تلتزم بالتفسيرات الكنسية له، والعلماء الذين يخرجون بعلمهم عن مقررات الكنيسة فإنّ التعذيب والحرق بالنار مألّفهم"⁵.

هذا من جانب، ومن جانب آخر مساندة الكنيسة للظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتمثل في الإقطاع والملوك الظلمة، فقد وقفت الكنيسة في صف الإقطاع تدافع عنه، وتتوعد الثائرين على ظلمه، تهددهم بقرارات اللعن والطرّد من

² - المصدر نفسه: ص 104-105

³ - ذلك بسبب قريحا من فطرة التدين في تلك الفترة.

⁴ - تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص6.

⁵ - انظر: مذاهب فكرية معاصرة للدكتور محمود مزرودة، مكتبة كنوز المعرفة، جدة: السعودية، الطبعة الثانية: 1427هـ-2006م، ص 231-255. وانظر: مذاهب فكرية

معاصرة محمد قطب، دار الشروق، القاهرة: مصر، الطبعة التاسعة: 1422هـ - 2001م، ص 446-462. وانظر كذلك: الاتجاهات الفكرية المعاصرة د. علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية: مصر، تاريخ النشر: 1998. ص 51-66

ملكوت الله، وحجب صكوك الغفران عنهم، فلما جاء الوقت الذي ثارت فيه الشعوب على ثنائي الجريمة واستنشقت نسيم الحرية لأول مرة منذ ألف عام، انطلق الناس كالسوائم⁶ التي طال سجنها فأصابها ما يشبه السعار⁷ فأخذوا يعبرون عن أنفسهم بأفكار وآراء على قدر كبير من الشذوذ، والكثير من هذه الآراء والأفكار تخطى عدوة العقل إلى عدوة الجنون، وليس من شك في أن أفكار كونت تعتبر أوضح مثال على ذلك.

وباعتبار أن القيم موجودة في مستوى الحياة الحسيّة، ومتأثرة بالزّمان والمكان اللذان يحتويانها، فهي لا محالة تابعة في التطوّر لهما، والإنسان بتكوينه الجسدي والروحي هو الفاعل الأول في هذا الكون، لذلك فأهميّة القيم نابعة من وجود الإنسان في هذا الكون لأنّه هو المعنى الأوّل بأمر القيمة.

الاتجاهات العامّة للفلسفة المعاصرة:

إنّ التّحديد الدّقيق للاتجاهات الفلسفية المعاصرة صعب إذ أنّ التّراث الفكري والفلسفي المتراكم على مدى كلّ الزّمن الذي يسبق الزّمن الحاضر ساهم في التّوالد وتوطّد القرباب بين مختلف المذاهب، ولكن منها التي برزت واشتدّ عودها وكان تأثيرها أكبر من تأثير غيرها، فكانت هناك المنتصرة للعقل، والمنتصرة للعمل، والمنتصرة للروح... إلخ.

ويمكن القول تبعا لذلك أنّ ما دعا إليه نيتشه من فلسفة القوّة هو الذي ساد في النّهاية، فصارت أول القيم على سلّم القيم العديدة هي قيمة القوّة؛ القوّة في إخضاع الغير ممّن هم مهيوّن لأخلاق العبيد، وهؤلاء تحكّمهم قيم العبوديّة والضعف التي ظهرت على شكل فقاعات هشّة ولكنّها مع هذا تغلق بإحكام على أصحابها، منها قيم تقديس العمل عند أرباب العمل بما يشبه كثيرا في السّمات العامّة حالة العبد، أضف لها الجمود الفكريّ الذي أنتج بشرا يستهلكون أكثر ممّا ينتجون من دون أهداف مرسومة تحكّم حيواتهم.

وقد قال برغسون أنّ: "الخطر الأكبر في العلم في كون المسائل الماديّة (التي يوقّرها العلم لنا) غير مصحوب بالضرورة بـ (تمدّد) للروح الإنسانيّة متناظر ومساو مع ذلك التضخّم"⁸.

وقد تمّ تقسيم المذاهب الطّبيعيّة إلى قسمين:

"ما استندت إلى طبيعة الإنسان، ولم تتجاوز الطّبيعة الفجّة إلى سماء الرّوح. وما استندت إلى بعض فروع العلم الحديث"⁹. وأهمّ المذاهب الفلسفيّة التي ظهرت في الفلسفة الحديثة هي:

البراجماتية، الرّوحيّة، التّحليليّة، الوجودية، البنيوية (البناييّة)، الرومانسية، الماديّة الجدليّة، الواقعيّة الجديدة البراجماتية:

تعطي البراجماتية القيمة للفكرة وللعمل من أجل النّهوض بالعمل والإنتاجيّة، وقد تأثّرت بمناهج البحث العلميّة والاتّجاهات الواقعيّة المعاصرة.

⁶ - جمع سائمة وهي كل إبل أو ماشية ترسل للرعي ولا تعلق، انظر: المعجم الوسيط/ إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: 2004، 465/1.

⁷ - حر النار وشدة الجوع والتهاب العطش والجنون، انظر: المعجم الوسيط، 430/1.

⁸ - التشريع الإسلامي: محمد تقي المدرسي، انتشارات المدرسي، - طهران - إيران، الطبعة الأولى، سنة الطبع: 1413هـ، ص137.

⁹ - المصدر نفسه، 143/3.

وقد وجدت في النظام الرأسمالي الأمريكي خير تربة للنمو والازدهار؛ فهو يؤكّد اتّجاه الأمريكيين - ليس إلى فهم الواقع لذاته أو بحث مدى أسبقية الفكر على الواقع - وإتّما الاتّجاه إلى فهم الواقع لاستغلاله والسيطرة عليه سعياً وراء المنافع التي ستعود عليهم من ذلك. جعل المؤسس الأوّل للبرامجاتية تشارلس بيرس صدق الفكرة يتمثّل في إمكانيّات العمل الكامنة فيها¹⁰.

الروحية:

ظهرت الروحية كردّ فعل قويّ ضدّ المنهج التجريبي للعلوم الطبيعيّة الذي امتدّ للعلوم الإنسانيّة وطال حتّى الإنسان، فكاد يفقد قيمته ككائن واعٍ وفاعل، كاد يصبح ظاهرة طبيعيّة، لقد فقد بذلك كيانه العقلي والروحي الذي ميّزه عن بقية الظواهر الأخرى، وقد كان برجسون أشهر الفلاسفة الذين مثّلوا الروحية.

تحليلية:

تميّز القرن العشرون بالتحليل الذي كان من مقتضيات التقدّم العلميّ الحاصل، "حيث أنّ تربته الماديّة التحليلية أدّت بالضرورة إلى أن تكون ثمارها الفكرية واقعية، من أجل هذا تعدّدت المذاهب الفلسفية المعاصرة التي تندرج تحت هذا الاتّجاه. حقّاً أنّ كثيراً من الفلاسفة الواقعيين والتحليليين المعاصرين بدأوا أولاً في مذاهبهم الفلسفية كتلاميذ لكانط وهيغل، لكنهم سرعان ما تحوّلوا عن مثاليتهما وإطلاقيتهما إلى اتّجاهات أخرى واقعية وماديّة وتحليلية تتفق مع ظروف القرن العشرين. وأشهر من عبّر عن هذا الاتّجاه العامّ للفلسفة التحليلية المعاصرة هو برتراند راسل الذي جمع في فلسفته أحدث التطوّرات الرياضيّة وآخر الكشوف العلميّة الذرية، وقد كان من الفلاسفة القلائل الذين غيروا فلسفاتهم وطوّروها حسب تطوّر الكشوف الرياضيّة والعلميّة¹¹.

الوجودية:

إنّ "الفلسفة الوجودية بوجه عامّ ثورة على نظرية المعرفة، وردّ فعل قويّ ضدّ الأهمية التي أضفتها عليها الفلسفات العقلانيّة، فإذا كان ديكارت قد قال: "أنا أفكر فأنا إذن موجود" ليقرّر بهذا أنّ العقل هو الوسيلة المتلى لمعرفة الوجود؛ فإنّ كيركجورود يردّ عليه قائلاً: "كلّما ازدادت تفكيراً قلّ وجودي، وذلك ليبين لنا أنّ إحساس الإنسان بوجوده لا يتّضح له من خلال تفكيره المنظّم بل من خلال تجربته المعاشة التلقائية مع الحياة.

والإنسان في نظر الفلسفات الوجودية كائن ممزّق يمزّقه التوتر الباطنيّ على نحو شديد، ولهذا فإنّها اتّخذت لنفسها شعار "الهدوء خيانة حياة النفس"¹².

البنوية:

إنّ القيمة في الفلسفة البنوية تظهر في تحليل البناءات التي تكوّن الظاهرة الكلية أو الفكرة، ومن خلال تحليل تلك البناءات يمكن الوصول إلى الحقيقة، والمجتمع أيضاً تمكن دراسته من خلال دراسة البناءات التي تكوّن.

¹⁰ - المذاهب الفلسفية المعاصرة: سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، ط1 - 1973، ص: 50-53.

¹¹ - المصدر نفسه، ص: 77-79.

¹² - قصّة الفلسفة الغربية: يحيى هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة، 1993، ص122-123.

إنّما " أحدث مذهب فلسفي ظهر في أوروبا حالياً، وهي تمثّل فلسفة المجتمع الأوربي بعد أن نفّض عن نفسه آثار الحرب وتطلّع للبناء. وهي تعني أنّ كلّ شيء في الوجود عامّة والإنسان خاصّة عبارة عن بناء متكامل يضمّ بين جنباته عدّة أبنية جزئية تقوم بينها علاقات محدّدة هي التي تعطي هذا الشيء بناءه وتوضّح وظيفته، وتبيّن مكانه ضمن أبنية الوجود الأخرى¹³.
النزعة الرومانسية كردّ فعل للنزعة العقلية:

"جاءت النزعة الرومانسية في السنوات الأخيرة من القرن الثامن كردّ فعل عنيف ضدّ النزعة العلمية التي سادت أوروبا منذ حوالي القرن السادس عشر والتي بلغت ذروتها في العلم النيوتوني في أوائل القرن الثامن عشر، وكان لهذه الحركة تأثيرها الكبير على جميع أوجه النشاط الإنساني من فن وأدب وفلسفة وسياسة". وهي مهمّة " لأنّها تشكّل في الواقع الخلفية الثقافية لمعظم الفكر الفلسفي المعاصر، مع أنّها بدأت مرتبطة بالسياسة على يد جان جاك روسو.
أمّا عيبها المزعج فهو أنّها تقود إلى اليأس وإلى عدم الاكتراث بجميع مقاييس الحقيقة والقيم، فشأن الرّجل الرومانسي شأن السّكران الذي يتقبّل جميع الأشياء على أنّها ذات قيمة واحدة، ويعجز في أكثر الأحيان من انتقاد خبرته، وتشغله مباحج مجرّد العيش عمّا في العيش الجيّد من مباحج أعظم.¹⁴
المادّية الجدليّة:

" تأثّر ماركس بالفلسفة الألمانية المادّية التي كانت سائدة في عصره، وفي نفس الوقت أخذ من هيكل الجدل بعد أن صحّح وضعه من وجهة نظره، لقد كان هيكل يبدأ الجدل من الفكرة ويجعل الواقع نتاجاً لها، أمّا ماركس فبدأ الجدل من الواقع المادّي وجعل الفكرة نتاج الواقع المادّي، وقد أدّى هذا بماركس إلى القول بالمادّية الجدليّة في تفسيره كافّة حقائق الوجود والطبيعة والإنسان، فالمادّة هي الحقيقة الوحيدة في العالم، والمادّة أسبق من الفكرة وهي أصل وجودها"¹⁵. لذلك كان الوعي أو العقل عند الماركسيين تابعاً للمادّة، والإنسان لا يمكنه الوصول إلى تحقيق وإنتاج ضرورات الحياة إلّا من خلال المجتمع، ولكن أدوات الإنتاج تبقى هي الحاكمة والمسيرة للعلاقات بين النّاس، "هذه هي إذن القضية الأساسيّة التي تقدّمها المادّية: إنّ كلّ ما يفكره الإنسان ويرغب فيه ويريد، إلى غير ذلك، ما هو في نهاية الأمر إلّا نتيجة تنتج عن حاجاته الاقتصاديّة التي تحدّد طرق الإنتاج والعلاقات الاجتماعيّة التي يخلقها هذا الإنتاج. وخلاصة القول، إنّ كلّ مضمون الوعي الإنساني يحدّده المجتمع، ويتعدّل ويتغيّر بحسب التطوّر الاقتصادي"¹⁶.

الواقعية الجديدة

" يمثّل هذا الاتجاه اليوم الفيلسوف الأمريكي (بارتن بيرري). يرى بيرري أنّ معظم الأشياء التي نسمّيها خيراً لا يكون لها قيمة إلّا من حيث أنّها وسيلة لخير أشمل منها. ويعتقد بتفاضل القيم (والتي يسمّيها بالاهتمامات) عبر أربع زوايا؛ طبيعتها، وموضعها من هرم الوسائل والغايات، ومدى شمولها للنّاس، وتناسقها فيما بينها"¹⁷.

¹³ - المذاهب الفلسفية المعاصرة: سماح رافع محمد، ص: 135.

¹⁴ - مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: محمد مهراّن رشوان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة. مصر، الطبعة الثانية: 1984م، ص24-29.

¹⁵ - المذاهب الفلسفية المعاصرة: سماح رافع محمد، ص36.

¹⁶ - الفلسفة المعاصرة في أوروبا: إ.م. بوشنسكي، الناشر: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، ترجمة: عزّت قري، 1992. ص 98.

¹⁷ - التشريع الإسلامي: المدرسي، 3/ 381.

النسق الفلسفي الغربي ومآزق القيم:

يؤدّي انحسار دور الدّين وتراجعها إلى تعويضه بما يؤدّي دوره أو ما يشبهه، فمنذ فجر التّاريخ كان هناك ثبات في منحى التدين أو هبوط، وكان لا بدّ معه ممّا يعوّض غياب الإله في حياة الإنسان أو المجتمعات؛ لأنّ التدين فطرة، والإنسان يتّجه دوماً إلى جعل مبدأ أعلى في حياته أو فكرة تكون محورا ومركزا يشدّ إليه باقي الاعتقادات والاهتمامات في حياته، وفي الغرب كان " الرهان الفلسفي الذي انطلق مع اليونان ارتكز على جدل العلاقة بين الطبيعة والإنسان، وأسقط عنصر الغيب، رغم محاولات التأسيس لمقولات العقل الكليّ، وهو ما أدّى إلى تأسيس نموذج معرفي مادّي صرف، رغم ما كان يعترضه في بعض اللّحظات الميتافيزيقية التي لم تحلّ سؤال الوجود، وهو ما انعكس على طبيعة فهم القيم، بحيث تباينت القيم المركزية من تجربة تاريخية إلى أخرى، لتصل إلى درجة التآليه بسبب التمرکز الفلسفي المفرط؛ إذ يمكننا أن نلاحظ - مثلا - نزوعا نحو تأليه الحكمة والسعادة عند أفلاطون، ونزوعا نحو تأليه العقل عند ديكارت، ثمّ نزوعا نحو تأليه الدّولة مع ميكافيلي ونيتشه، ونزوعا نحو تأليه العمل عند ماركس، ونزوعا آخر نحو تأليه التقنيّة عند هايدغر، ثمّ نزوعا نحو تأليه التّواصل عند هابرماس إلى غير ذلك، بحيث تتعدّد القيم المطلقة بتعدّد الفلسفات، حتّى يصير لكلّ فيلسوف إله قيمه المطلقة التي ينشؤها انطلاقا من مرجعيته العقلية.

إنّ نزوعات تأليه القيم التي ميّزت التّفكير الفلسفي الغربي أدّت إلى تفكيك المرجعية النهائية واتّجاه البحث عن مرجعيّات تعويضية تشكّل معادلا موضوعيا لأزمة الإطار المرجعيّ أو التّواء الصّلبة الحاملة لنظام القيم التاريخية والاجتماعية، ومن التحوّلات الأساسية التي سيعرفها النسق الفلسفي الحدائثي أن تحول العلم بديلا عن المعرفة التأمليّة، والتقنيّة بديلا عن الإنسان، وهو ما تنبّه إليه مؤسس الفلسفة التّواصلية في ألمانيا يورغن هابرماس من خلال ماسماه في إحدى كتاباته الأساسية " العلم والتقنيّة كأيدولوجيّة"، ولا شكّ أنّ من فعاليّات الأيدولوجيّة الأساسية فعاليّة التعويض والاستبدال والتبرير للحفاظ على منطقيّة النسق، مهما كان هذا النسق فارغا وصوريا¹⁸.

مفهوم المرجعية:

تعني المرجعية " الفكرة الجوهرية التي تشكّل أساس كلّ الأفكار في نموذج معيّن، والرّكيزة النهائية الثابتة له التي لا يمكن أن تقوم رؤية العالم دونها، " فهي ميتافيزيقا النموذج". والمبدأ الواحد الذي تردّ إليه كلّ الأشياء وتنسب إليه ولا يردّ هو أو ينسب إليها"¹⁹.
ويحمل النموذج المعرفي حسب الفاروقي²⁰ " رؤى الإنسان الفيزيقية والميتافيزيقية، ونظامه القيمي وعلاقاته المعيارية، ومصادر تشكيل معرفته، وإطاره المرجعي، وهذا يجعل النموذج أداة تحليلية يمكن من خلالها إدراك جوهر الظاهرة وفروعها، ويساهم في عملية التفسير بصورة أساسية"²¹.

18 - الحدائث والسياسة والدّين وسؤال القيم: عزّ الدّين عزماني، مجلّة الإحياء، المغرب، العددان 32-33، رمضان 1431، ص123-124.

19 - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق - القاهرة، 1999، 54/1.

20 - ولد إسماعيل الفاروقي في فلسطين عام 1921، وانتقل فيما بعد إلى أميركا، وافته المنية عام 1986م. ألف عددا من الكتب الموسوعية المتميزة في تاريخ الأدب والأديان المقارنة وفلسفة الأديان، منها الأطلس التاريخي لديانات العالم، كما له بحوث كثيرة منشورة في الدوريات العلمية. انظر إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر - تحرير: حسن ملكاوي، رائد عكاشة، عبد الرحمان أبو صعيك، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الو. م. أ، ط1 - 1435، ص25.

21 - إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر - تحرير: حسن ملكاوي، رائد عكاشة، عبد الرحمان أبو صعيك، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الو. م. أ، ط1 - 1435، ص193.

فلكل نموذج بعده المعرفي، " أي إن خلف كل نموذج معاييره الداخلية التي تتكون من معتقدات وفروض ومسلّمات وإجابات عن أسئلة كلية ونهائية تشكل جذوره الكامنة وأساسه العميق، وتزوده ببعده الغائي، وهي جوهر النموذج والقيمة الحاكمة التي تحدّد النموذج وضوابط السلوك، وحلال النموذج وحرامه، وما هو مطلق وما هو نسبي من منظوره. فهي باختصار مسلّمات النموذج الكلية أو مرجعيته التي تجيب على الأسئلة الكلية والنهائية، ما الهدف والغاية من الوجود في الكون؟ هل الإنسان مادّة وحسب، أم مادّة وروح؟ أين يوجد مركز الكون: أيكون كامنا فيه أم مفارقا له؟"²².

" إن تأسيس منظومة للقيم الأخلاقية لا يمكن أن يخرج عن ثلاث مرجعيات : فإما أن تؤسس على المرجعية الاعتقادية الدينية، وإما أن تؤسس على المرجعية الفلسفية، التي تعتمد العقل وحده، أو على المرجعية العلمية التجريبية التي ترجع في تحديد الأخلاق إلى الواقع، وترفض التسليم بالدوافع الفطرية، أو المعارف القبلية للإنسان"²³.

ولكن حتى مع هذه المرجعيات الثلاث، لا بد لكل منها أن تقدم برهانها ودليلها على مدى اقتراب قيمها وأخلاقها من الأمثل والأكفأ في تحقيق الأفضل، ف "بالنظر إلى هذا الاختلاف بين النظم الأخلاقية، لا نستطيع أن نقول أنّ تصرّفات من نوع معيّن صواب وأنّ أخرى خطأ إلاّ إذا وجدنا أوّلا طريقة تحدّد أن نظما بذاتها خير من الأخرى... إلاّ أنّه عندما تدّعي عدّة نظم أخلاقية مختلفة أنّ أصلها جميعا مقدّس بدرجة متساوية، فإنّ الفيلسوف لا يستطيع أن يقبل أيّ نظام إلاّ إذا كانت هناك حجج في صالحه لا تتوقّر للنظم الأخرى"²⁴. وهنا يطرح التساؤل حول الذاتية والموضوعية في القيم.

الذاتية والموضوعية في القيم:

هل هناك قيم أصلية، حقة، مرجعية، مطلقة، عامة لجميع الأنواع والأفراد من منظور إنساني؟ هل توجد بحيث تولد حسب اختلاف الظروف قيما مكيفة ومتأقلمة؟

إنّ تغيّر الظروف وتبدّلها يغيّر من قيم الإنسان الواحد، فهي "مائلة في الثقافة على هيئة تمثيلات أو إشارات أو أدوات أو خيارات. وهي من جهة أخرى لا تستطيع أن تنتشر إلا إذا اعتبرناها موضوعات رغبة، وإن الاتفاق الجمعي الذي يتوجّه لا يكفي البتّة أن يكون أساسا لها، وهو يبدو، إن صحّ القول، في صورة اعتراف الفاعلين الذين يثقون هم أنفسهم بالاعتماد الذي تقدّمه لهم الثقافة التي يستخدمونها. إن مصلحتنا هي التي تقيس فضل القيمة. والقيم تقف في ملتقى مسارين: مسار الحاجة التي تطالب بنقاط مرجعية وموضوعات مبادلة أو تلبية، ومسار رغبة تحوّل هذه المعطيات إلى تمثيلات غائية متعالية"²⁵. فأولا وباعتبار الإنسان المرجع في تحديد القيم؛ فإنّ مصلحته الشخصية هي التي تعلي من شأن قيمة ما أو تحطّ من شأنها فتهملها أو تتجنّبها، ثمّ إن هناك فاعلين أساسيين في القيمة، فاعل الحاجة الذي يحتم الوصول للقيمة، وفاعل الرغبة الذي يرفع القيمة التي يصبو إليها.

قد يتفق الجميع أو معظم الناس على ذاتية القيم لأنّ الموضوعية في القيم ستتطلب توقّر النموذج الإنساني الأمثل وكذا سبيل تحقيقه. وهذا ما يحرص على الاتفاق حوله المهوسون برسم القيم وتلوينها حيث يطيب لهم كثيرا التظاهر بسلوك الحوار والتفكير سبيلا إلى نشوئها واعتمادها؛ أي الانتصار لها. لكن الاعتراف الضمني بذاتيتها يجعلهم يتوسلون بكل شيء إلى ذلك.

²² - العالم من منظور غربي: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال - القاهرة، كتاب الهلال، عدد 206، 2001، ص 20-21.

²³ - منظومة القيم المرجعية في الإسلام: محمد الكتاني، الكتاب مرفوع من الشبكة العنكبوتية، بدون طبعة أو تاريخ، ص 168.

²⁴ - المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة: برتراند راسل، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ص 29-30.

²⁵ - فلسفة القيم: جون بول رزقير، تعريب عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة - بيروت، ط 1-2001، ص 33.

وعلى الرغم من هذا فإنّ القيم المركزيّة كالعدل والتّعايش والتسامح وغيرها باعتبارها إنسانيّة كونية يشتركها الجميع. لذا فإنّ " كلّ المنظّمات الدولية على اختلاف توجهاتها ومرجعيتها تركّز على ضرورة ترسيخها، إلا أن سؤال المرجعية يبقى مطروحا للنقاش بين داع إلى الاستناد إلى المرجعية التي تحكم كل بلد وتنظّم عقد قوانينه في جميع المجالات استنادا إلى الخصوصيات الحضاريّة التي تميّزه عن غيره من بلدان العالم، بل وينظر إلى هذه الخصوصيات باعتبارها نموذجا مختلفا يسهم في تعزيز ثقافة الحوار والتعايش والتفاهم، وكل أفعال المشاركة هذه قائمة على قيمة نبيلة وهي قبول الاختلاف. وبين من يرى أن القيم لا يمكن أن تستند إلى أيّ مرجعية باعتبارها قيما إنسانية مشتركة لا مجال للحديث عن الاختلاف فيها، وأنّ بناء منظومة قيمة بغضّ النظر عن أيّ مرجعية هو الكفيل برأب الصدع وإزالة الحواجز والإسراع بتحقيق أقصى قدر من الاندماج بين الأمم والشّعوب، وأنّ المرجعيّات الحضاريّة المتنوّعة التي نشأت وترعرعت في جميع أقطار العالم عبر التاريخ يجب أن تراجع هامش الخصوصية فيها لتجعله ملائما مع حقوق الإنسان ومبادئها الكونية كقيم مشتركة"²⁶.

ولكن هل هناك عقل واحد وفكر واحد أنشأ حقوق الإنسان، أو هل هناك إجماع على حقوق الإنسان كما هي مصوغة من قبل كلّ الديانات والفلسفات؟ الأکید لا، فمن يملك القوّة والسلطة وكيف تلك الحقوق والقيم التي يدّعي أنّها عالميّة هو من دون شكّ الذي يدعو إلى تحقيق أقصى قدر ممكن من الاندماج بين الشّعوب.

فحتّى مع وجود القيم الكونية المشتركة فـ "المتأمل بعمق في طبيعة النقاش الدائر في هذا الموضوع يتّجه مباشرة إلى تحرير موضع الخلاف، وهو المدخل الرئيس لبناء رؤية علميّة مشتركة- وليست بالضرورة موحّدة- تكون منطلقا لبناء منظومة القيم لدى المتعلّمين، فالخلاف لا يكمن في النظر إلى القيم في بعدها الكوني فكلّ القيم قيم كونية بلا خلاف، إذ الحرّيّة والعدل والمساواة والكرامة والإنصاف وغيرها لا يمكن أن تكون إلّا مطلبا كونيا لكلّ إنسان مهما اختلف لونه أو عرقه أو دينه، ومن هنا يكون الحديث عن القيم باعتبارها من الخصوصيات احتكارا غير مبرّر، ومنحى لا ينسجم مع طبيعة القيم ذاتها التي تتنقّس طبيعيا في فضاء الكون دون حابس.

لكن المرجعية والخصوصيات الحضاريّة لكلّ أمة ومجتمع تجد نفسها حاضرة بقوّة في تحديد مفهوم القيمة وليس في القيمة ذاتها، فالحرّيّة قيمة كونية بلا خلاف لكنّها تتداول في الخطاب بمفاهيم مختلفة، فيصبح التدخّل في الشؤون الداخليّة للدول دفاعا عن الحرّيّة وتكريسا لها في عرف الغازي، وظلما وقهرا وكتما للأنفاس في عرف المغزو، ويصبح تناول المخدرات حقّا من حقوق الإنسان باعتبار حرّيّة التصرف في الجسد في عرف من يتناولها، وهي جرم في حقّ النفس والمجتمع في عرف من يرى فيها ضرا على التسيج الصحي والاجتماعي، ويصبح انتقاد المقدّس في وسائل الإعلام مباحا في إطار حرّيّة التّعبير، وجرما في رأي من يرى أنّ الإعلام مسؤوليّة ينبغي أن تحترم قيم القارئ ومبادئ المجتمع وقس على ذلك.

ومن هنا يبدو أنّ حضور المرجعية مركزيّ في بناء منظومة القيم ولا يتناقض مع طبيعة القيم الكونية فالمرجعية تحدّد المفهوم، وفي نفس الوقت تعمل على ترسيخه في المجتمع"²⁷.

²⁶ - القيم الإسلاميّة في المنظومة التربويّة- دراسة للقيم الإسلاميّة وآليات تعزيزها: خالد الصّمدى، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثّقافة- إيسيسكو-

1429هـ، ص13.

²⁷ - المصدر نفسه، ص14.

كان لزاما على الباحثين المسلمين الاهتمام بهذا الموضوع - حضور المرجعية في بناء منظومة القيم - خاصة لارتباطه القوي بالتربية التي تعدّ في جوهرها عملية قيمية، وخطره ومساسه بمرتكزات ومبادئ دين الإسلام بعد أن صارت قيم الفكر الغربي الذي يخالف الفطرة ويقهر الطبيعة هي السائدة والمهيمنة، وهذا بعد أن اجتاحت العولمة أدقّ مظاهر الحياة ومختلف تفصيلاتها في العالمين الإسلامي كما الكافر.

القيم والعولمة

أتاحت الثورة الصناعية والعلمية للغرب القوة والسيطرة، واستمرّ في التقدّم في فنون الإنتاج، حتى أضحت "الإنتاجية هي ميزة الأمم الحديثة، فهي تؤسّس تحولا عميقا داخل الحداثة يتجلى في الانتقال من حضارة العلم والتقدّم إلى حضارة الاستهلاك والترفيه"²⁸، والسبب في ذلك أنه مدفوع بفلسفة القوة، وبالنزعة المادية.

إنّ "الفلسفات التي استلهمت من التقنية العلمية هي فلسفات القوة، وهي تميل إلى اعتبار كلّ شيء لا إنسانيّ مجرد حامة أولية، ولم تعد الغايات تدخل في الاعتبار، وإنما القيمة قاصرة على براعة العمل فقط.

ويبدو أنّ العالم الحديث يتحرّك في الزمن الحاضر نحو حلّ مماثل لحلّ العالم القديم: نظام اجتماعي تفرضه القوة، يمثّل إرادة الرجال الأقوياء أكثر ممّا يمثّل إرادة عامة الناس"²⁹.

مما تتمثّل به هذه القوة العلم الذي يمتلك عند الغرب المتقدّم "دورا أساسيا في إعطاء المشروعية للنظام الاجتماعي والسياسي الحديث. وبالتالي فالنزعة العلمية لها أبعاد لا تتمثّل فقط في جعل المؤسسات العلمية أكثر إنتاجية وإنما أيضا في إضفاء الشرعية على النظام السياسي والاجتماعي المؤسّس على العقلانية التقنية"³⁰.

والغرب الحديث منذ بداياته إلى الآن، كان دائما مدفوعا إلى الأمام من طرف قوتين أساسيتين: إرادة المعرفة وإرادة السيطرة. بل إن الرغبة العارمة في المعرفة تعزز وتقوي الرغبة في التغيير، ومن ثم الميل نحو التوسع والتحكم في فضاءات متعددة³¹.

كلّ هذه المظاهر برزت وتقوّت كردّ فعل عن بدايات فصل الدين عن الدولة؛ إنها العلمانية أو العولمة التي اجتاحت في عصرنا أدقّ تفاصيل الحياة حتى صرنا نرى أفرادا ينتمون إلى مختلف الثقافات والحضارات متشابهين في القيم والواقع الإنسانيّ على الرّغم من اختلاف أديانهم ومرجعياتهم.

إذن هل بالإمكان القول أنّ مرجعية المسلمين تداخلت مع العولمة أو انسحبت لصالحها في الكثير من الجوانب الحياتية، والدليل على ذلك القيم التي نراها تغزونا وتغيّر من تطّعاتنا وغاياتنا.

ومما يساهم بشكل كبير في ذلك تبني قيم العولمة من طرف "مؤسسات الدولة المركزية الأمنية الخارجية والداخلية التي زادت مقدرتها على قمع الأفراد وتوجيههم وإرشادهم من الداخل والخارج. ورغم أهمية مؤسسات القمع المباشر الخارجي مثل المخابرات والشرطة السرية، إلا أن المؤسسات الأمنية الداخلية، مثل المؤسسات التربوية والإعلام كانت تفوقها في الأهمية. فإذا كانت المؤسسات الأولى تقوم بتوجيه الفرد بغلظه من الخارج، فالمؤسسات الثانية تقوم بترشيده من الداخل ببطء وبشكل روتيني

²⁸ - انظر الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة - نموذج هابرماس-: محمد نور الدين أفاية، إفريقيا الشرق- المغرب، ط2- 1998، ص113.

²⁹ - تاريخ الفلسفة الغربية- الكتاب الثالث- الفلسفة الحديثة: برتراند راسل، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص10.

³⁰ - انظر الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة - نموذج هابرماس-: محمد نور الدين أفاية، ص61-62.

³¹ - المصدر نفسه، ص108.

يومي لا يشعر هو به حتى يصل به الأمر إلى تمثّل، ثم استبطان رؤية هذه المؤسسات تماماً، فينظر إلى الواقع من خلال عيونها دون حاجة إلى قمع خارجي، ويحيد ذاته وحسه الخلفي، وتصبح تلك الجهات المصدر الوحيد للقيمة المطلقة، وفي نهاية الأمر ينظر إلى نفسه باعتباره جزءاً من آلة كبرى، وتصبح مهمته الأساسية، وربما الوحيدة، هي التكيف البرجماتي مع دوران الآلة³².

تطال هذه المظاهر مجالات الاجتماع والإعلام والدّين والاقتصاد والسياسة، كما أنّها تمسّ مختلف أطياف المجتمع من الفرد البسيط حتّى المنتمي إلى النّخبة، لأنّ الفرد يختار قيمه " لا بناء على عملية واعية يجربها عقله وتفكيره، فمثل هذه العملية غير متوقعة لدى الراعي ولا يمكن تصوّرها عند الطّفل، وإنّما هو يستنشقه في محيط حياته، وفي مجاله الروحي الذي يحوط وجوده المعنوي. والفرد منذ ولادته غارق في عالم من الأفكار والأشياء التي يعيش معها في حوار دائم"³³.

لقد تسبّبت كلّ هذه التحوّلات في عوامة الثقافة، فصار العالم أشبه بقرية كونية، وفي عالمنا الإسلامي أنتج هذا الوضع أفراداً تتشكّل وتتطوّر قيمهم من الأعراف والتراث والدين. هذه الفوضى القيمية، وتيه المسلم بين مرجعيّته التي صار غريباً عنها وبين مرجعيّة انتماءها لها مشوب بالحيرة والضبايية تحمّ دراسة القيم القرآنيّة لاستثمارها في تزكية الأفراد وتمتين صلتهم بالدين القويم وليس المشوّه.

القيم والمرجعية القرآنية

القرآن الكريم هو المرجع والمصدر الأول للقيم، ولكن بسبب الذاتية في القيم، وقد يسهل تبريرها - تبرير قيم ما والانتصار لها- على حسب براعة وبلاغة المعني بتحقيقها، كما لا ينبغي الحكم عليها بإرجاعها إلى الظروف المحيطة بثقافة المجتمع، لأنّها هنا ستكون تابعة لا أصيلة. لذا فالرجوع دائماً إلى الكتاب كله- الذي يصدق بعضه بعضاً- واجب لمراجعة القيم.

إنّ ميزة المنظومة القيمية أنّها نسبيّة، لذا فهي بحاجة إلى المراجعة المستمرة في ضوء القرآن باعتباره مصدراً مستقلاً للقيم لا يقبل المزاوجة مع مصادر أخرى. على سبيل المثال هناك من يسبق تطبيق القيم الحدائرية على القيم القرآنيّة أو يمزجها معها، وفي ضوء هذا الخليط يراجع قواعد قديمة للمسلمين. فـ "توظيف المقاصد دون ضوابط أو معايير ما هو إلا وسيلة لهدم الشريعة، وإقصاء القرآن الكريم عن القيادة والمرجعية، وتبرير للحلول التي تليها المناهج الحديثة، وتبرير للقيم التي تتطلبها المعقولة الحديثة"³⁴.

القرآن لا يقبل معه النّظير أو من يطغى بقيم غير قيمه عليه، وبالخصوص إن أتت من طريق مشوّه ومنحرف من فهم القرآن الكريم، فاستخراج القاعدة الكلّيّة أو المقصد أو المصلحة من القرآن له أصوله وآلياته، فلا ينبغي لمن لا يفقهها أن يخرج بأصول منه من طريق خاطئة فتكون أصوله لا تحمل صفات القاعدة الكلّيّة.

وماذا عن القيم التي تلامس الواقع وتأخذ قيمتها من الوجود؟ والتي تتبدّى أكثر ما تتبدّى في مجالي الثقافة والاجتماع اللذين يصاحبهما تطوّر مستمرّ مصاحب لهيمنة العلمنة على المجتمعات المسلمة كما الكافرة، فبعد أن كانت للمجتمعات " خصوصيات ثقافية أو دينية مقدسة؛ أصبحت تخلي موقعها أمام الشرعيّة الدوليّة بوصفها مرجعيّة لا سبيل إلى تجاوزها. وأصبحت هذه الشرعيّة مرراً للنخب العلمانية والليبرالية الحاكمة في بلدانها للتخلي عن القيم الإسلاميّة"³⁵.

32- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري، 170/1، بتصرف.

33- مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، دار الفكر- سورية، ط4، 194، ص54-55، بتصرف.

34- المدخل المقاصدي والمنارة العلمانية: أحمد الطعان، 2006، أرشيف ملتقى أهل التفسير، المكتبة الشاملة، 487/9.

35- انظر التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم: فتحي ملكاوي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد54، حريف1429هـ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص15.

والواقع أنّ تبنيّ هذه الشرعيّة من جهة، وغزو مظاهر العلمنة حياة الإنسان المسلم من جهة، وتراجع خطاب الدّين والقرآن تراجعاً رهيباً في حياة المسلم، كلّ هذا أفسد فطرته وكنم على موروثاته حول الدّور المهمّ للدّين في حياته وضرورته، لذا يبدو أقرب إلى البلبه والعبث مجرد التّعريد بأن الإسلام هو الذي يضمن للإنسان السعادة بالقيم التي يدعو إليها أو قائم بها وعليها، " فإن أي مجتمع يرنو إلى أن يكون له وجود مستقبلي بالنظر إلى موضوع القيم، ينبغي له أن يكون متوفراً على آليات تنظيرية وتربوية واجتماعية.

الآليات التنظيرية لتمكّنه من:

. ضبط معالم وحدود مرجعية المجتمع وكذا منطقتها الداخلي.

. ضبط مناهج قراءة المرجعية واستنطاقها والاستنباط منها وبلورة التمثيل لها، وكذا ضبط مناهج تنقيح هذه المناهج وتفعيلها.

. ضبط مناهج التعرف على الواقع، محلياً، وإقليمياً، وعالمياً، وكذا ضبط آليات التحسس على التوجهات الكبيرة العارمة التي

تترجم فيه لتوظيفها إن كانت إيجابية، أو لاجتنابها إن كانت سلبية، أو لمقاومتها إن كانت مدمرة مخترقة.

. ثم ضبط آليات تفعيل القيم الإيجابية الموجودة وإنتاج الأخرى المفقودة استهداءً بعناصر الضبط المتقدمة.

وهذا يفيد أن الجهات التي تحرك هذه الآليات التنظيرية ليست بالضرورة هي وزارات التربية الوطنية، بل كذلك الجامعات

والمنتديات، ومستودعات التفكير، والجمعيات، وهيئات العلماء.. الخ.

الآليات التربوية والتواصلية:

لتمكّنه من تعديّة هذه القيم إلى أفرادها بطريقة فعالة وإيجابية ومقنعة.

الآليات الاجتماعية:

لتمكّن من العبور بشمرات الآليات السالفة إلى مختلف أنواع العمل العام الذي يتخذ المجتمع ككل ميداناً له (العمل الثقافي،

العمل الجمعي، العمل السياسي، العمل الاجتماعي، العمل الإعلامي) "36.

في البلدان العربيّة تراجع تعليم الدّين تراجعاً رهيباً في المنظومات التربويّة، كما في الأسر، حتّى خلّف جهلاً فظيلاً بالإسلام،

ومن الممكن أن نقول بأن لا حضور للمرجعيّة الممثّلة لدين الله في أذهان المسلمين وقلوبهم، وتبعاً لذلك فالقيم التي تحكم

سلوكاتهم، والمعايير التي يتبنونها في قراراتهم لا حضور لألويّة القيم الإسلاميّة فيها!

ضف إلى هذا أنّ حالة " الاستعباد الذي ابتلينا به في القرن الماضي إنّما كان نتيجة محتومة لانحطاطنا الديني والخلقي والفكري

الذي كنا متردين فيه من قرون عديدة.

[...] [ف] الذي يشهد به تاريخنا الماضي أنّ الإسلام ما انتشر في هذه البلاد [يقول المؤلف] نتيجة لمساع مبذولة منظمة،

بل إنّنا إذا استثنينا الأيام الأولى من الفتح الإسلامي في السند والقرن الذي بعده، لا نكاد نعثر في عصر من العصور على قوة

منظمة بذلت جهودها في نشر الإسلام وتعميم دعوته... ولا كان يهّم الحكومات المسلمة وقتئذ أن تعنى بتعليم هؤلاء المهتمين

وتربيتهم حيثما انتشر الإسلام. فكان من جراء هذه الغفلة أن ظل عامتنا سادرين في الجهل والجاهلية منذ أول أمرهم "37.

³⁶ - عن القيم الدينية والأخلاقية والمدنية-الاجتماعية: أحمد عبادي، مقال مرفوع من موقع مجلة الإحياء-المغرب، 1438هـ.

³⁷ - موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم: أبو الأعلى المودودي، دار الفكر الحديث- لبنان، 2-1386هـ، ص146-147.

دور الجامعات الإسلامية في بناء المرجعية

تحتاج الجامعة؛ أيّ جامعة انطلاقاً من مهامها الجوهرية في تنمية المجتمع وتطوير معارف أفرادها المنتمين إليها، إلى التنسيق مع باقي جامعات ومؤسّسات الوطن في مختلف الميادين حتّى لا تنتج معرفة متضادّة في نسقها العام، وهذا حتّى تعصم من نُكُوتهم هذه الجامعات المنتمية إلى وطن واحد من تمثّل قيم - اكتسبوها طوال فترة تعليمهم - لا تلامس الواقع ولا تجد السند لها في الحياة الاجتماعيّة ومختلف الجوانب الحياتيّة الأخرى من اقتصاد، سياسة، فنّ، إعلام... إلخ، فمن شأن الهوّة التي تفصل المعرفة والعلم عن التمثّل الواقعي لها أن تستبدل القيم العلميّة والقيم الأخلاقيّة لدى الفئة المنتمية إلى الجامعة بالقيم السائدة في ثقافة المجتمع، وهذه العمليّة مع كلّ جيل تفقد الجامعة مصداقيّتها لأنّ مهامها مع مرور الوقت ومع اجتماع هذه الظروف تحتك قيمة التربة الخصبة التي كانت تعدّ طلاباً صاروا فيما بعد بدورهم مكوّنين ومساهمين في تربية الأجيال اللاحقة، ولكنّها أجيال كوّنتها ثقافة مجتمعيّة، وثقافة قرية علميّة خذلت الإنسانيّة بما تنشره من ثقافة اللانسانيّة.

لذا كانت الرهانات التي تواجهها الجامعات - والإسلاميّة خصوصاً للدور المنوط بها في بناء المرجعيّة الاعتقاديّة الدينيّة - ليست أبداً سهلة، بل معقّدة وعسيرة، لأنّها بمثابة منارة في العلم والمعرفة ورائدة في العمل على تطوير العلوم والإبداع فيها بما يخدم المجتمع ويرقيّه ويليّ احتياجاته ويعالج المشاكل التي تعيق ترقية أفرادها.

مفهوم الجامعة:

هي " مؤسسة علمية مستقلة ذات هيكل تنظيمي معين وأنظمة وأعراف وتقاليذ أكاديمية معينة، وتمثّل وظائفها الرئيسية في التدريس والبحث العملي وخدمة المجتمع، وتتألف من مجموعة من الكليات والأقسام ذات الطبيعة العلمية التخصصية وتقدم برامج دراسية متنوعة في تخصصات مختلفة منها ما هو على مستوى البكالوريوس، ومنها ما هو على مستوى الدراسات العليا تمنح بموجبها درجات علميّة للطلاب"³⁸.

اكتسبت الجامعة بمرور الزمن مصداقيّة كبرى للدور المناط بها من " تهيئة الجوّ لرجال العلم والمعرفة لكي يضعوا التصوّرات أمام كبار المسؤولين وقادة المجتمع، وتزويدهم بالحقائق والتحليلات العلميّة التي تمكّنهم من فهم جوهر القضايا الاجتماعيّة، واتخاذ القرارات الدقيّة، أو سنّ القوانين التي تخدم المصلحة العليا للدولة وللمجتمع"³⁹. واتصال الجامعات بمجتمعاتها المحليّة لم يعد أمراً اختياريّاً يمكن أن تقوم به الجامعات أو تتركه، بل أصبح هدفاً استراتيجيّاً وضرورة حتميّة فرضتها العديد من المتغيّرات في مجالات الحياة المختلفة، وبعدّ اهتمامها بخدمة المجتمع أحد أهمّ العوامل التي تكسبها ثقة المجتمع والرأي العام، كما يعدّ ذلك الاهتمام عاملاً من عوامل تبوّثها لمواقع متقدّمة في التصنيفات العالميّة لمؤسّسات التعليم العالي. ومن المتعارف عليه أنّ الإسهامات التي تقدّمها في خدمة المجتمع تشمل الأنشطة التي يتبناها ويبادر بها الأفراد، أو تلك التي تعدّها المؤسّسة التعليميّة كبرامج رسميّة ضمن خطة استراتيجيّة واضحة المعالم، وهذا النشاط التعليمي موجّه إلى غير طلاب الجامعة ويمكن عن طريقه نشر المعرفة خارج أسوار الجامعة، وذلك بغرض إحداث تغيّرات سلوكيّة وتنمويّة في البيئة المحيطة بالجامعة ووحداتها الإنتاجيّة والاجتماعيّة المختلفة⁴⁰.

³⁸ - الجامعات - نشأتها، مفهومها، وظائفها: مليحان معيض الشبيبي، المجلة التربويّة - جامعة الكويت، العدد 54، مجلس النشر العلمي - الكويت، 2000م، ص 214.

³⁹ - أبحاث ودراسات في السياسة والإدارة: عمّار بوحوش، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1-2007م، ص 633-634.

⁴⁰ - انظر دور مؤسسات التعليم العالي السودانيّة في خدمة المجتمع: سليمان عبد الله، 2014، مقال مرفوع من موقع مركز التور:

<http://www.alnoor.se/article.asp?id=234420> ..

إنَّ قيمة الحوار تهيء مرجعية قيم السَّلم بما تنشده من تدارس بين المتحاورين لأنَّه من النواظف الأساسية لبلورة القيم الإنسانيَّة المشتركة وإخراجها إلى الواقع العمليّ، وهذا الحوار لا يدعو إلى المغادرة من موقع التَّوَّع والتعدُّد وإمَّا المساهمة في بناء مرجعية تستند إلى الانطلاق من قاعدة العالم بالفكرة لا الجاهل بما، يقول تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:66). فالإسلام يدعو إلى الانفتاح على بقيَّة الثقافات بالحجَّة والموعظة الحسنه، وإذا كان على كلِّ أمة أن تؤثر فعليها أن تبلور مشروعها الحضاريّ وتخرجه من غربته ليعمَّ العالم⁴¹.

لقد أثبت المسلمون عبر التَّاريخ بما أرسوه من مرجعية السَّلم التي مكَّنت أهل كلِّ ديانة من ممارسة شعائرهم في تعايش تامٍّ مع باقي الديانات؛ أثبتوا أنَّ بناء هذه المرجعية واجب وعلى الجميع المشاركة في تحقيقه وفق الآليات والسياسات الخاصَّة بكلِّ زمان ومكان، أي بتمثُّل الحكمة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:125). والجامعة الإسلاميَّة باعتبارها فاعلا أساسيا في التعريف بالمرجعية وبناء معرفة المجتمع، وبما يتفرَّع عنهما من تأسيس مرجعية قيم السَّلم والحوار التي تثمر التعايش بين المجتمعات مطالبة باسترجاع الدَّور الرياديِّ لها في هذا التَّوجيه.

على سبيل المثال لظالما كانت جامعة الأزهر هي المرجعية العلميَّة والأكاديميَّة للمسلمين وغيرهم فيما يتَّصل بعلوم الإسلام واللغة والعربيَّة، وغيرها من التخصصات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، والتي استطاعت من خلال مخزونها العمليِّ الأكاديمي والثقافي، ومخزونها من البحث العلميِّ، أن تقدِّم حلولاً ناجعة للمشكلات التي تهدد المجتمعات الإنسانيَّة في شتَّى مجالات⁴².

يحتِّم دور الجامعات الإسلاميَّة في بناء المرجعية، يحتِّم عليها الاضطلاع بمهمَّة التَّواصل بينها وبين الجامعات الأخرى في الوطن الواحد لأجل التقريب بين العلوم الإنسانيَّة والتَّجريبية والتَّجريدية، وعن طريق تبصير عقول الباحثين والطلَّاب بالتوجهات القيمة لمرجعيَّتها الدِّينيَّة، وهذا يتطلَّب مساندة مختلف أصحاب القرار في الدَّولة لأهداف الجامعة بالوسائل والآليات التي يبرعون فيها لتعزيز سمعتها وموقعها. وينبغي هنا التنويه بضرورة التناسق بين العلوم، مختلف العلوم، لأنَّ هذا هو الأصل والميزان، فإذا اختلَّ أيُّ نظام فمعناه طغيان بعض من أجزائه على الأخرى بما يفسد ميزانه، وكذلك الحال مع العلوم والحالة الاجتماعيَّة لأيِّ بلد؛ إذا برزت أيُّ ظواهر غير سليمة فمردها إلى الجانب المعرفيِّ فيها الذي يتحكَّم في الجانب العمليِّ والسُّلوكي، فمهمَّة منظومة العلوم الحفاظ على التوازنات النفسيَّة، والروحيَّة، والعقليَّة، والبدنيَّة.

إنَّ الدَّور المركزيِّ للعلمانية وقيمها في التَّأصيل للقطبية الإيديولوجية الأحادية التي كرسَّت مظاهر التطرّف والعنف والعنصريَّة والغلو، سعيا وراء مصالحها بالاعتداء على البلدان الأضعف تستدعي من الجامعات الإسلاميَّة في العالم الإسلامي توحيد جهودها وتركيزها وتبادل الخبرات فيما بينها للسَّعي في غياب حالة الإشهاد التي تفرض على الأمة بسبب عدالتها وحكمها بالقسط أن تحكِّم على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكِّم عليها غيرها، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول،

⁴¹ - انظر عالميَّة الحضارة الإسلاميَّة: عبد الأمير قبلان، 2001م، مؤتمر "كلمة سواء" السنوي السادس: "حوار الحضارات" (كلمات الافتتاح)، مقال مرفوع من موقع

مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات.

⁴² - نبذة تعريفية عن جامعة الأزهر، 2018/3/17، مقال مرفوع من موقع الجامعة: www.azhar.edu.eg

وما شهدت له بالرد، فهو مردود⁴³. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ الآية (البقرة: 143). فإذا كان العالم قد رحّب بالحوار بين الحضارات إلا أن الاختلاف على الأسس والأدوات بقي واضحاً، وخاصة مع إصرار الطّرف على التمسك بالهيمنة، فتحوّلت الجهود إلى البحث عن أسس عادلة تكفل مسيرة الحوار وترعاه، ومن ضمنها الاعتراف بالغير على قاعدة الاعتراف المتبادل بالحقوق والواجبات بعيداً عن النظرة الأحاديّة الإلحاق أو الاستعباد، وضمن الدّعوة إلى الاعتراف بخصوصيّة هذا الآخر، وليس على آليات تبرمج لعلاقة بين تابع ومتبوع⁴⁴.

فالإنسان المسلم مناط به الاهتمام بالشأن العالمي والتبشير بقيمه وأفكاره، والكشف عن إنسانيّة وعالميّة الحضارة الإسلاميّة، والعالميّة في العالم الإسلامي نزوع إنساني وتوجّه نحو التفاعل والتساند بين الأمم والشّعوب، وهي ترى العالم منتدي حضارات يجمعها المشترك الإنساني العام، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107). وفي طليعة القيم التي ترسخ للسلام والحوار قيم العدل والمساواة ومناهضة العدوان والظلم، والارتفاع بالإنسان إلى مستوى السمو والحد من استبداده وتعسّفه⁴⁵.

آليات بناء القيم

إنّ الآليات التي تعدّ من صميم عمل الجامعات الإسلاميّة في بناء القيم متنوّعة، وهي نفس الآليات لباقي الجامعات في طرح أفكارها والدّعوة إلى توجّهاها، وخدمة مجتمعاتها تحمّلاً للمسؤوليّات المناطة بها.

من أهمّ وأبرز الآليات:

- البرامج والبحث العلمي:

الاعتناء بدمج مقرّرات دراسيّة للطلاب تعنى بالمسائل المستحدّة وأهمّ الدّراسات والبحوث التي أنتجها مفكرو وفلاسفة الغرب من أجل فهم الرهانات المعاصرة، والتفتّح على الآخر.

إنّ وظيفة البحث العلميّ من أهمّ وظائف الجامعة، والتطوّر الحاصل في العلوم يحتم على الجامعات الإسلاميّة - باعتبارها مساهماً رئيساً وفعالاً في بناء المرجعيّة - مسايرة التطوّرات الحاصلة فيه بالتكاملية مع الجامعات في التخصصات الأخرى حتّى تواكبه وتسايره فلا تتعثّر في الترسّخ لهذه القيم، فإن كانت مساهمتها في بناء المرجعيّة الاعتقادية الدينيّة محتشمة ولا ترقى لجعل بحوثها العلميّة تنال المصدقيّة التي تستحقّها، فلن تحتمل مساهمتها القدر الواجب من القبول والعمل بمنتجاتها العلميّة.

- اللغة والمفردات:

إنّ المصطلحات هي التي تصنع الوعي وتوجّه سلوك المستمع، ولأنّ بناء المرجعيّة يستند إلى القرآن الكريم وقيمه، بمعنى منظومة قيمية متناسقة فالاعتدال في الرجوع للمفردات التي تعبّر عن مختلف مقاصد القرآن هو الذي يحقّق رسالته الهدائيّة.

⁴³ - انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1- 2000م، ص70.

⁴⁴ - انظر عالميّة الحضارة الإسلاميّة: عبد الأمير قبلان، 2001م، مؤتمر "كلمة سواء" السنوي السادس: "حوار الحضارات" (كلمات الافتتاح)، مقال مرفوع من موقع مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات.

⁴⁵ - انظر عالميّة الحضارة الإسلاميّة: عبد الأمير قبلان، 2001م، مؤتمر "كلمة سواء" السنوي السادس: "حوار الحضارات" (كلمات الافتتاح)، مقال مرفوع من موقع مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات.

إنّ الأصل في الحوار أن ينصبّ حول الفكرة من حيث هي بصرف النظر عن القائل، ذلك أنّ استصحاب منصب أو وضع المحاور (الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو...) يؤثّر سلبيًا في كثير من الأحيان في تحديد مقدمات الحوار ونتائجه. ويظهر الخوف من المحاور في مستويات متعدّدة، فتراه متجليًا في الموقف الفكري والحضاري⁴⁶.

تظهر تجليات الخوف في التسليم بأفكار الغالب اقتصاديا أو سياسيًا، كأن تتحول أفكار الإنسان العادي إلى مصاف النظريات والأفكار المعصومة بمجرد تقلّد منصب رفيع لغرض جلب المنعم ودفع المغرم، وهو سبب في القلق الفكري والتعبير عنه بما يسهم في قبول الإملاء في القضايا الفكرية والحضارية⁴⁷. وهذا ما يستدعي الحرص على الموضوعية.

- الندوات والملتقيات:

على الجامعة عقد الندوات والملتقيات، وإقامة الورشات العلمية لتكون محلّ ثقة، ولتنمي الوعي لدى الطلاب وتدمجهم في الجانب العملي للجامعة.

الاتصال بالأوساط الثقافية، فهي التي تصنع الوعي، وعندما تستهدف فمعناه أن النّخبة هي التي تكيف وفق مقاييس محدّدة حتىّ تخدم قضايا مخصوصة باستمرار.

التنسيق والتعاون وتبادل المعارف والبحوث مع المؤسسات الإعلامية لإيصال المعلومة والمعرفة لأكبر عدد من المتلقّين: المثقفون- الباحثون- الدعاة من أديان أخرى- الساسة المحليون والأجانبون- الشعوب المحليّة والأجنبيّة.

- اللقاءات والزيارات:

تساهم اللقاءات والزيارات في خلق وتهيئة المناخ العمليّ المناسب وبنشر الوعي الثقافي المطلوب حسب المتطلّبات التي تملّيها العلاقات مع الآخر.

ومنها التواصل مع الجامعات والمراكز الإعلامية الغربيّة، فلها دور دبلوماسيّ وتوعويّ مع الساسة والقادة الغربيّين. القيام بدراسات واستشارات مع السفارات، وتنظيم لقاءات ومحاولات ترفيتها لتصل لصنّاع القرار من أجل غرس القيم الإيجابية وتغيير النظرة العدائيّة عن العالم الإسلاميّ.

خاتمة:

مما لا شك فيه " أن هويتنا وطرائق رؤيتنا للواقع مشروطة بمرجعياتنا الثقافية التي تؤثر على نظرتنا لأنفسنا، وكيفية تعاطينا مع الآخرين وتفاعلنا مع العالم، وعلى ذلك تؤثر علينا وسائل الإعلام تأثيراً كبيراً يشمل ليس فقط تفكيرنا وإنما يمتد كذلك إلى تصرفاتنا"⁴⁸، لذلك ينبغي الاهتمام بالوعي الثقافي للمنتسبين للجامعات الإسلامية وتكوينهم التكوّن الصحيح وفق المناهج المدروسة حتىّ تتحقّق كفاءتهم وفعاليتهم في نشر الرّسالة الهدائيّة للمرجعية القرآنيّة باعتبار أنّ العولمة تكيف من تتوجّه إليهم

⁴⁶ حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني: عمّار جيدل، دار الحامد- الأردن، ط1-2003م، ص56.

⁴⁷ المصدر نفسه، ص57.

⁴⁸ دور المؤسسات الوطنية لحقوق الانسان في مواجهة الكراهية والتعصب ونشر ثقافة التسامح، اللجنة الوطنية لحقوق الانسان- سلطنة عمان، الوثيقة مرفوعة من

الشبكة العنكبوتية. <https://nhrc-qa.org/>

ليستبتنوا رؤيتها، وقد جاءت في عنصر سابق من المداخله بعض الجوانب السلبية لها التي تسعى لحصوله الإنسان ليكون مجرد أداة تقتصر مهمتها على القيام بالمهام الملقاة إليها من دون اعتبار لاحتياجاته الإنسانية من أمن واستقرار وكرامة... إلخ.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبحاث ودراسات في السياسة والإدارة: عمّار بوحوش، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1-2007م.
3. الاتجاهات الفكرية المعاصرة د. علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية: مصر، تاريخ النشر: 1998.
4. أساس البلاغة: الزمخشري، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-1419هـ.
5. إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر - تحرير: حسن ملكاوي، رائد عكاشة، عبد الرحمان أبو صعيلىك، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الو. م. أ، ط1-1435.
6. تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، ط5.
7. تاريخ الفلسفة الغربية - الكتاب الثالث - الفلسفة الحديثة: برتراند راسل، ترجمة: محمد فتحي الشنيطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.
8. التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم: فتحي ملكاوي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد54، حريف1429هـ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
9. التشريع الإسلامي: محمد تقي المدرسي، انتشارات المدرسي، - طهران - إيران، الطبعة الأولى، سنة الطبع: 1413هـ.
10. تعددية القيم: طه عبد الرحمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مراكش، ط1-2001.
11. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1-2000م.
12. الجامعات - نشأتها، مفهومها، وظائفها: مليحان معيض الشبيبي، المجلة التربوية - جامعة الكويت، العدد54، مجلس النشر العلمي - الكويت، 2000م.
13. الحدائة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة - نموذج هابرماس - محمد نور الدين أفاية، إفريقيا الشرق - المغرب، ط2-1998.
14. الحدائة والسياسة والدين وسؤال القيم: عزّ الدين عزماني، مجلّة الإحياء، المغرب، العددان32-33، رمضان 1431.
15. حوار الحضارات ومؤهلّات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني: عمّار جيدل، دار الحامد - الأردن، ط1-2003م.
16. القيم الإسلامية في المناهج الدراسية: خالد الصّمدى، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.
17. القيم في القصص القرآني الكريم: محمد حريري، رسالة دكتوراه الفلسفة في التربية، جامعة طنطا - كلية التربية، 1409هـ.
18. العالم من منظور غربي: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال - القاهرة، كتاب الهلال، عدد206، 2001.
19. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق - القاهرة، ط1-2002.
20. فلسفة القيم: جون بول رزقير، تعريب عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة - بيروت، ط1-2001.
21. الفلسفة المعاصرة في أوروبا: إم. بوشنسكي، الناشر: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، ترجمة: عزّت قرني، 1992.
22. قصّة الفلسفة الغربية: يحيى هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة، 1993،
23. القيم الإسلامية في المنظومة التربوية - دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها: خالد الصّمدى، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 1429هـ.
24. القيم الدينية والأخلاقية والمدنية - الاجتماعية: أحمد عبادي، مقال مرفوع من موقع مجلة الإحياء - المغرب، 1438هـ.

25. لسان العرب: ابن منظور، دار صبيح، بيروت، ط1- 1427هـ.
26. المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة: برتراند راسل، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة.
27. مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: محمد مهران رشوان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة. مصر، الطبعة الثانية: 1984م
28. المدخل المقاصدي والمناورة العلمانية: أحمد الطعان، 2006، أرشيف ملتقى أهل التفسير، المكتبة الشاملة.
29. مذاهب فكرية معاصرة للدكتور محمود مزروعة، مكتبة كنوز المعرفة، جدة: السعودية، الطبعة الثانية: 1427هـ-2006م.
30. مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب، دار الشروق، القاهرة: مصر، الطبعة التاسعة: 1422هـ - 2001م.
31. المذاهب الفلسفية المعاصرة: سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، ط1- 1973.
32. مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، دار الفكر- سورية، ط4، 1994.
33. المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، القاهرة.
34. المعجم الوسيط/ إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية ، سنة النشر: 2004.
35. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت.
36. منظومة القيم المرجعية في الإسلام: محمد الكتاني، الكتاب مرفوع من الشبكة العنكبوتية، بدون طبعة أو تاريخ.
37. موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم: أبو الأعلى المودودي، دار الفكر الحديث- لبنان، ط2-1386هـ.
38. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق- القاهرة، 1999.
39. نظرية القيم في الفكر المعاصر: الربيع ميمون، -الناشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، -تاريخ الإصدار: 1980.

مواقع الأنترنت:

1. دور مؤسسات التعليم العالي السودانية في خدمة المجتمع: سليمان زكريا سليمان عبد الله، 2014، مقال مرفوع من موقع مركز النور: <http://www.alnoor.se/article.asp?id=234420> .
2. دور المؤسسات الوطنية لحقوق الانسان في مواجهة الكراهية والتعصب ونشر ثقافة التسامح، اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان- سلطنة عمان، الوثيقة مرفوعة من الشبكة العنكبوتية.. <https://nhrc-qa.org/>
3. عالمية الحضارة الإسلامية: عبد الأمير قبلان، 2001م، مؤتمر "كلمة سواء" السنوي السادس: " حوار الحضارات" (كلمات الافتتاح)، مقال مرفوع من موقع مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات
4. نبذة تعريفية عن جامعة الأزهر، 2018/3/17، مقال مرفوع من موقع الجامعة: www.azhar.edu.eg.

الأستاذ: الجمعي شبايكي/ الباحثة: منى بن عطية